

- ١٧٩ -

عندها وتناولها على هذه الصورة من المقالات ، فلا بد من أن يكون هناك ذلك « الشيء » الذى يستأهل أن يكتب عنه ، وأن يتحكم به ، وأن يسخر منه ، وأن تبرز تفاصيله ، وأن يجرى تجسيم عيوبه ، وتضخيم ثغراته فالمقال الفكاهى الكاريكاتورى عنده ، لا يتناول أى شيء ، ولا أى انسان وانما لابد أن يكون هناك السبب والدافع والمؤثر .

٢ - أن الضحك ، ولو أنه ركن أساسى فى المقال ، الا انه لم يكن الهدف الوحيد له ، وانما كانت تتشابه معه فى أحيان كثيرة ، وتتقدمه فى أحيان أخرى عدة أهداف رأى الرجل بحصافته وخبرته وحسه ، أنها يمكن أن تتحقق بهذا الأسلوب ، فهو يضحكنا من الأشخاص حتى لا يكثر أمثالهم ، ويضحكنا من الصور والمشاهد حتى تبرز ويضخم جانبها السلبى فيرعى أصحابها ، ويوجه سخريته الى النقائص والعيوب والمثالب ، فالضحك عنده أسلوب وطريقة وسيلة فهو نوع من « النقد الاجتماعى » لا الأدبى هنا ، وكثيرا ما اتجه الى هذا المعنى ، وفى ذلك يقول أحد الذين اقتربوا من هذا الجانب ، أكثر مما اقتربنا « ٠٠ فلم تكن فكاهاته عارية عن الهدف أو فارغة من المضمون بل كثيرا ما كانت تأتى مصحوبة بالتلميح الهادف أو التعريض اللادع ، مما يجعلها تأخذ طابع المعالجات الفكرية المحبوبة ، والتي تسمو - فى جوهرها - على اللهو الفارغ أو العبث الرخيص ، » .

٣ - دقة التوجه لما يتناول وبراعة تصويره مجسما : فهو - كرسام الكاريكاتير الماهر - كان يحسن التقاط ذلك الجانب فى صورة الشخص ، أو تلك الزاوية فى الموضوع ، أو هذا الركن من أركان المشكلة أو القضية ، قبل غيرها من الجوانب أو الزوايا أو الأركان الأخرى ، ثم يتوجه إليها بقلمه ، ليصورها فى براعة ، من حيث التجسيم والتكبير والمغلاة ، حتى وإن كانت هذه كلها تتصل بهيئة رجل ، أو تصرف كاتب ، أو سلوك أحد العمال ٠٠ ثم إن التصوير هنا يحسن اختيار ما يشبه به هذا العضو ، أو تلك الهيئة ، حتى يبعث على الضحك ، والضحك الكثير أيضا .

٤ - أنه لا يوجد فى الأشخاص من لا يمكن أن يناله قلمه بهذا الأسلوب ، طالما أن به ما يستحق أن يضحك منه القارئ ، وأن يتحكم عليه الناس ، فلا فرق هنا بين غنى أو فقير ، أو وزير أو حقير ، فالجميع - إذا صح التعبير - سواسية أمام ذلك القلم الكاريكاتورى ، وعلى هذا فقد وجدنا أن الجاحظ